Education Ouverte et Libre – Open Education
ISSN 2673-9127
https://oap.unige.ch/journals/eol-oe/
Volume 2, 2023

This is an **extended summary** of an open access article under the CC BY SA license.
Article DOI: https://doi.org/10.52612/journals/eol-oe.2023.21177

الاسترشاد بنظرية المعرفة

Maryvonne Charmillot [0009-0002-7390-6500],

University of Geneva, Switzerland

الكلمات المفتاحية: المعايير العلمية السائدة، نظرية المعرفة الشاملة، انعدام المساواة المعرفية، العدالة المعرفية
ملخص موسع: ما عسانا نفعل عندما لا نتفق تماماً مع الطريقة السائدة التي ننظر بها إلى إنتاج المعرفة؟ وعندما نشعر بأن انعدام المساواة المعرفية آخذ في الانتشار وأن الحياد يولد العنف؟ أقترح الإجابة على هذه الأسئلة من خلال تحليل موقفي الذي أتبناه اليوم سواء كان ذلك في بحوثي أو في مهنتي كمدرسة للطالبات في علوم التربية في جامعة جنيف وكذلك في مدرسة الدكتوراه في العلوم التربوية (EDSE). وتمشياً مع عنوان هذه الورقة البحثية، أعتبر مفهوم "الموقف المعرفي" بمثابة "مساحة للتفكير الأخلاقي"، أي بمثابة "مساحة للتفكير في كيفية توجيه سلوك المرء بصفته باحثاً" (ماثي، 2005). وإن بناء هذه المساحة هو بمثابة رحلة ملؤها اللقاءات والروابط. وهو يتطلب بعضاً من الجرأة والتفويض، وفيه يواجه الباحثون الشدائد وتغمرهم أحياناً العزلة. وإن البحث عن بدائل للفلسفة الوضعية قد يضع الباحثين ضمن الأقلية، ما يجبرهم على تبرير مواقفهم مراراً وتكراراً في مواجهة المعايير العلمية السائدة.

يشير مفهوم نظرية المعرفة الشاملة الذي أشاركه في هذه الورقة البحثية إلى عقلانية أخلاقية تفترض مسبقاً فكرة أن الناس متضامنون ويعتمد بعضهم على بعض، وأما إطار تطبيق هذه الفكرة، فهو متجذر في أخلاقيات المسؤولية، على رأي ماكس فيبر (1963). ونظرية المعرفة أخلاقياتٌ تنشغل بعواقب الأفعال المرتبطة بها. ويوجه هذا الترسيخ النظري الأولي على الفور السؤال المعرفي نحو علاقتنا مع الآخرين. فعندما أجري بحثاً، ما هو الحيز الذي أمنحه للأشخاص المعنيين بأغراضي البحثية؟ هل أنا أُعلي صوتهم أم أكتمه؟ هل أصبغهم بهوية كونتُها وفقاً لتصنيفاتي ومفاهيمي وشبكات المقابلات الخاصة بي وما إلى ذلك، أم أنا أمنحهم الحيز الزماني والمكاني لتحديد هويتهم الخاصة؟ وهل يخدم بحثي منطقا يكبلهم أم يحررهم؟ وبناء على عملي مع راكيل فيرناندييز إغليسياس (2018)، منطلقي دائما هو أن الانخراط في أي نشاط بحثي، على أي مستوى، يعني "المساهمة في تشكيل مسار العالم" (لاغازنري، 2017، ص 12). ودعما لبحثي في مجال الصحة والمرض (شارميلو، 2019)، لعل أفضل طريقة أعبر بها عن هذا المفهوم هي باستخدام عنوان كتاب والتر هيسبين (2000)، العناية في هذا العالم (Taking Care in the World). وبعبارة أخرى، فإن إجراء بحث شامل في العلوم التربوية هو، في رأيي، نشاط يتعلق بالعناية بقدر ما يقترح "نموذجا آخر للعلوم الإنسانية والاجتماعية: بصفتها مجموعةً من النظريات، تبرر دراسات العناية الابتعاد عن العقلانية والشكلية الضيقة، فهي تدافع عن تكامل قضايا الدراسات النسوية والجنسانية من أجل بناء تمثيلات نقدية جديدة للعالم الاجتماعي والسياسي" (بروجير وغوتيي، ب.ت).

وتُعتبر نظرية المعرفة الشاملة كذلك نظرية لربط المعرفة. وأشير هنا إلى المقترحات الرئيسية لفلورنس بيرون بهدف استعادة أو تعزيز العدالة المعرفية وإعادة الأخلاق إلى النشاط العلمي. تسعى نظرية ربط المعرفة إلى "الحفاظ على جميع الروابط البشرية التي تجعل إنتاج المعرفة ممكنا وإبرازها، في نصوص العلوم الاجتماعية" (بيرون، 2017، ص 33). وإن نظرية المعرفة هذه مثمرة بقدر ما أنها تسمح بالاعتراف بتعددية المعرفة وسياقات إنتاجها، دون تسلسل هرمي أو امتياز. وتخدم نظرية المعرفة هذه تعزيز العدالة المعرفية، أي الوصول إلى "مثالية معرفية وأخلاقية وسياسية تهدف إلى ظهور المعرفة المفيدة اجتماعياً في كل مكان على هذا الكوكب وليس فقط في بلدان الشمال، وذلك في إطار علمي شامل ومفتوح أمام المعرفة ككل" (ص 37).

وتسلط الورقة الضوء أيضا على أن بناء المعرفة يتجذر في مجالات متعددة، منها السيرة الذاتية والمؤسسية والاجتماعية والسياسية. وأما علاقتنا بالمعرفة، فهي خالدة ودائمة التغير. وفي الوقت الحالي، وفي وجه التغيرات والأزمات الاجتماعية (البيئية والصحية والجيوسياسية)، يشكك عدد متزايد من الباحثين في مبدأ الحياد العلمي وإخضاع العلم للرأسمالية. ولذلك فلا يحب الإفصاح عن موقف فحسب، بل يجب بناؤه ثم توحيده وإثراؤه، وهو يبقى عرضة للتحولات، كما أظهرت كارولين داير (2010) في تحليلها للتوترات التي يواجهها الباحثون في سياقهم المهني والمعاملات التي يطورونها في مجابهتها. وتتضمن هذه المعاملات تحولات معرفية وأحيانا حتى "إفصاحاً معرفياً عن الذات".

وبعد ذلك، أُظهر أن سعيي كان يهدف إلى إيجاد طريقة للقيام بدوري كمدرسة وباحثة والشعور بأنني أنتمي لهذا الدور. ويجادل فيش فيسفاناثان، المفكر الهندي الذي صاغ مفهوم العدالة المعرفية، بأن "المعرفة هي بمثابة مسكن وطريقة حياة" ولا تقتصر على أن تكون مجرد "نظام أو مجموعة رسمية من الخصائص غير المجسدة" (2016، ص 23). ونظرية ربط المعرفة كما صاغتها بيرون هي دعوة للتفكير في عملية الربط، من خلال الحوار واستكشاف الذات، وهي دعوة لإبراز الأصوات التي عادةً ما تكون مكبوتة. وتحثنا هذه النظرية على السماح لأنفسنا بأن نعيش حياة قائمة على التأليف الأخلاقي والتصدي لجميع أشكال الظلم المعرفي والاجتماعي كجزء من رؤيتنا المستقبلية. ويشكل هذا النهج تفويضًا لأن نكون معرفيين في مكاننا. وتشير جين ماري روجيرا، أستاذة علم النفس الاجتماعي في جامعة كيبيك والتي عملت مع بيرون، إلى الجرأة التي تتطلبها مهمة تشكيكنا في عملية إنتاج المعرفة. ومن وجهة نظرها، فأن نجد نفسنا في مكاننا الفكري هو "شعور بأننا في منزلنا". وبالتالي، فهي تحثنا على اعتماد مناهج

بحثية تستند إلى الوعي التاريخي الفردي والجماعي، لنستوعب كيفية انعكاس أسئلتنا على سياقاتنا الاجتماعية والتاريخية والسياسية، وكيف يمكن لهذه الأسئلة أن تساهم في نشاطاتنا في مجال التعليم والتدريب. وتمتد هذه المسألة الأخلاقية لنظرية ربط المعرفة من وجهة نظر الباحث الذي يسأل نفسه: أين أنا، من أنا، وفي أي مرحلة أنا؟ وتؤكد روجيرا، تمشياً مع نظرية التموضع، على أهمية إخراج عملية إنتاج المعرفة من كونها مجرد تمرين بسيط لإنتاج المعرفة، وتحويلها إلى محرك للتغيير الفردي والاجتماعي العميق، وذلك من خلال دمج مواقف المضطهدين والباحثين. ويتردد هذا المفهوم في ذهني بينما أواصل رحلتي، وأنا أصغي دائماً إلى أصوات الباحثين وأبحث عن طرق جديدة للتفكير العلمي. وكما ذكرت راكيل فرنانديز إغليسياس في استنتاجات أطروحتها (2016)، مرددة دعوة هنري برغسون إلى السير قدماً، حيث يكتب: "أرى طريقة واحدة فقط لمعرفة إلى أي مدى يمكن للإنسان أن يذهب. إنها ببساطة الانطلاق والسير قدماً". وهذه رسالة هذه الورقة البحثية.

ترجمة: صفاء الزواوي

szouaoui@bluewin.ch